

الجامعة العراقية/كلية التربية/ قسم التاريخ

**Iraqiya University/ Education College/ History Department**

الدور السياسي للوعاظ في العراق في العصر السلجوقي

د. ليث عبد الوهاب الحياي

**Political Role of Preachers in Iraq in the Seljuk Era**

**Dr. Laith Abdulwahab Al-Hayali**

المستخلص

كان للوعاظ والزهاد في العراق عامة وبغداد خاصة الدور الفاعل في توعية جمهور الأمة من خلال نصحتهم بتوجيههم نحو المحافظة والتمسك بالقيم الاسلامية للمجتمع البغدادي آنذاك ورفض كل أشكال الظلم والمفاسد التي تقع في مجتمعهم بسبب قد يكون من السلطة السياسية الحاكمة أو وزرائهم أو المتنفيذين من أمراء الأطراف الذين عبثوا بأمن البلاد، وكذلك فقد ساهموا برفض الهيمنة على مقدرات الخلافة من جهات خارجية أو داخلية. الكلمات المفتاحية: الوعاظ، الخليفة، السلطان، طغرلبيك، السهروردي، الكيلاني.

### **Abstract**

The preachers and ascetics in Iraq in general and Baghdad in particular had an active role in educating the people of the nation by advising them to direct them towards preserving and adhering the Islamic values of the Baghdadi society at that time and reject all forms of injustice and corruption that occurred in their society. It may be from the ruling political authority, their ministers, or influential princes who tampered with the security of the country, and they also contributed to refusing to dominate the caliphate's capabilities from external or internal parties.

الدور السياسي للوعاظ في العراق في العصر السلجوقي

## المقدمة

مرت الخلافة العباسية خلال القرنين الرابع والخامس بفترة حرجة لم تألفها من قبل عندما سادت الدنيا وقادت العالم الاسلامي ومثلت بغداد عاصمة العباسيين حاضرة عظيمة ومنارا في العلم والأدب لم تلبث أن ضعف دورها بسبب التسلطين البويهي والسلجوقي اللذين سيطرا على مقدرات الخلافة لأكثر من قرنين كاملين من الزمان تعثرت فيها الحياة السياسية والفكرية خاصة في العهد البويهي.

وقد كان لأهل العراق عامة وبغداد خاصة موقف حازم تجاه كل تجاوزات الحكام المتسلطين الذين أرادوا فرض هيمنتهم وتقاليدهم على المجتمع البغدادي وانبرى الوعاظ والزهاد بشكل خاص في تصحيح مسار الأمة من خلال تحذيرهم لكل من تسول له نفسه الخط من هبة الدولة والمحافظة على قيم المجتمع الاسلامي في بغداد وغيرها من أقاليم الخلافة، وتمكنوا بما لديهم من قدرة معنوية واحترام كبير في المجتمع من التأثير على الخلفاء والوزراء والقواد ووجهاء الدولة أن يحافظوا على تماسك المجتمع من خلال تحذيرهم لكل يحاول أن يعيث بأمنهم ومعتقداتهم الاسلامية والمجتمعية.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم الى أربعة مباحث، كان الأول بعنوان الأوضاع السياسية في العراق، والثاني كان تحت عنوان علاقة الوعاظ بالسلطة السياسية، فيما كان المبحث الثالث بعنوان الوعاظ والتأسيس للفكر الاسلامي السياسي أما المبحث الرابع والأخير فكان بعنوان النشاط السياسي للوعاظ. ثم ذكرت خاتمة للبحث وقائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في كتابته والله الموفق.

### المبحث الاول: الاوضاع السياسية في العراق

كانت الحياة السياسية قبل مجيء السلاجقة مضطربة حيث ان الخلافة العباسية تمر بمرحلة حرجة من الضعف والوهن، وبدأت تلوح بالافق ظهور دويلات تطالب بشكل صريح او مبطن بالانفصال وتكوين دويلات إما على اساس مذهبي أو عرقي بعد ان كانت الدولة العباسية دولة موحدة، مترامية الاطراف، ويصف المقدسي<sup>(1)</sup> سعتها وامتدادها بقوله "بانه لم يعد من الميسور ان تقطع ارض الخلافة من الشرق الى الغرب بأقل من عشرة أشهر". وكان هذا من العوامل التي شجعت على انتشار الحركات الانفصالية، وتشجيع الولاة في البلاد النائية أن يتجاوزوا سلطاتهم ويستقلون بشؤون ولاياتهم. فانهارت وشائج الدين التي كانت تربط بين الاجناس المختلفة نتيجة انتشار المذاهب المختلفة، واختلقت اللهجات، وازداد التباين في الاجناس، فكان من الطبيعي ان تنشأ دويلات صغيرة تتسع وتقوى واحيانا تضعف وتأفل تبعا للظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي كانت سائدة .

(1) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص94

ففي القرن الرابع الهجري بدأ يسطع نجم البويهيين واستطاعوا ان يمتدوا ويحتلوا العراق، وهيمنوا على الخلافة العباسية واصبح الخليفة لعبة بيد البويهيين، فاقدًا للسلطة، مسلوب الارادة ينصبونه ويعزلونه ويلحقون به الاذى والاعتداء، وبات الخليفة موظفًا عندهم يقلبونه حسب اهوائهم ويصرفون له راتبًا كيف ما شاؤا<sup>(1)</sup>. وشاركوا الخليفة بكل امتيازاته فنقشوا اسمائهم على النقود، وامروا ان يذكر اسمهم مع اسم الخليفة في خطبة الجمعة وهذا ما فعله عضد الدولة سنة (368هـ/979م) حيث أمر بأن يذكر اسمه مع الخليفة الطائع (363-381هـ/974-991م)<sup>(2)</sup>، كما حذفوا لقب امير المؤمنين من الخليفة العباسي بينما يذكر الامير البويهي مع لقبه وكنيته<sup>(3)</sup>.

ولم يبق للخليفة من الحكم إلا تعيين القضاة والخطباء وقوام المساجد، " أي الذي بقى في أيدي العباسيين انما هو امر ديني اعتقادي لا ملكي دنيوي"<sup>(4)</sup>. وانكب الخليفة في الحفاظ على النفوذ الديني فصار يؤكد ويسعى الى تثبيت مركزه به. فاستطاع ان يكسب احترام الراي العام واحترام الأهالي عن طريق الضرب على الوتر الديني وما يوجبه من احترام وطاعة الخليفة في السراء والضراء.

لذا ظلت الخلافة تمثل الرمز الديني برغم ضعفها وغير قادرة على ان تاخذ اي دور سياسي واضح ومهم. وهذا الموقف دفع الحكام والسلاطين يحرصون بالظفر على موافقة الخليفة بتوليتهم السلطة حتى تكتسب سلطتهم صفة شرعية<sup>(5)</sup>. وبشكل عام فإن القرن الخامس الهجري تراكمت فيه كل سلبات نُظم الحكم السابقة وفي جميع النشاطات السياسية منها والاجتماعية والاقتصادية بالاضافة الى ازدياد النفوذ الفاطمي في العراق وفارس وما يشكله من تحديد مباشر على الخلافة العباسية .

وفي المشرق الاسلامي برزت دولة السلاجقة وحدث ظهورها تغيراً كبيراً ومهما في مسار التاريخ الاسلامي لتزامن ظهورها مع حالة الضعف والحوار والتجزئة التي أصابت الخلافة العباسية أبان العصر البويهي، وباشر مؤسس هذه الدولة طغرل بك (429-455هـ/1037-1063م) بوضع أسس لمشروع بناء دولة قوية تستطيع بسط نفوذها والسيطرة العسكرية والسياسية على الاقاليم المجاورة مع اضعاف الطابع الديني من خلال رفع راية الجهاد ونشر الاسلام، ونجاحه برسم صورة لهم تظهرهم بمظهر منقذي الوحدة الاسلامية وحافظي الاسلام من التداعي والاختيار.

إن ظهور السلاجقة كان امراً حتمياً على الخلافة ان تتقبله وتتكيف معه وتسعى للاستفادة منه في ظل أوضاعها المتردة، ولم يكن حال الخليفة العباسي القائم إلا كالمستجير من الرمضاء بالنار، أما طغرل بك فكان هو الآخر بحاجة الى

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 158/7

(2) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، 260/14

(3) مسكويه، تجارب الامم وتعاقب المهمم، 401/6 ؛ سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، 500/17

(4) البيروني، الاثار الباقية عن القرون الخالية، ص132

(5) امين، حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، 28/1

الظفر برضا واعتراف الخلافة العباسية بصفتها السلطة الدينية العليا في العالم الاسلامي ومصدر الشرعية لاي دولة أو سلطان<sup>(1)</sup>.

وبهذا اجتمعت الارادات، وتلاقت المصالح، وبودلت الرسائل بين الطرفين<sup>(2)</sup>، فكان ثمرتها دخول طغرلبيك بغداد سنة (447هـ/1055م)<sup>(3)</sup>. ولتبدأ مرحلة تاريخية جديدة، حرص فيها طغرلبيك بمد جسور الود واطهار الطاعة للخليفة العباسي القائم وتوثيق علاقته به فأمر الخليفة القائم بذكر أسم طغرلبيك في الخطبة وأن يكون لقبه (السلطان ركن الدين ابو طالب) يمين امير المؤمنين<sup>(4)</sup>. وكان من تداعيات دخول طغرل بغداد هو إزاحة الوجود السياسي للبويهيين والاطاحة بقمة الهرم البويهى الملك الرحيم الذي ارسل مكبلا الى الري حتى توفي سنة (450هـ/1058م)<sup>(5)</sup>

اقام طغرلبيك ببغداد ثلاثة عشر شهراً تعززت خلالها صلاته بالخليفة العباسي، اثر زواج الخليفة من ابنة أخ طغرل خديجة خاتون ابنة داود بن ميكائيل عام (448هـ/1056م)، والتي كان قد عقد عليها أولاً ولده ذخيرة الدين محمد بن القائم لكن المنية قد أدركته قبل أتمام الزواج<sup>(6)</sup>. ولم تكن هذه المصاهرة والتي كانت سياسية بامتياز بعيدة عن حباكة كل من الوزير السلجوقي منصور بن محمد الكندري<sup>(7)</sup> والوزير العباسي رئيس الوزراء ابي مسلمة<sup>(8)</sup>

ولم يتخذ طغرل بغداد عاصمة له بل جعل الري عاصمة له<sup>(9)</sup>، وهذا كان ديدن كل السلاطين الذين حكموا بعد طغرل طغرل حيث لم يتخذوا بغداد مقراً وعاصمة لهم، وقد يعلل هذا بانها هي عاصمة ومقر للخليفة العباسي ولا يصح ان تكون مركزاً ومقراً للسلطنة، وقد استخلف طغرل شخصاً يحكم العراق يسمى بالعميد، وهو مسؤول عن الادارة السياسية والادارية للعراق، كما عين شخصاً اخر لحفظ الامن يعرف بالشحنة<sup>(10)</sup>.

---

(1) جمعه، عكاب يوسف، المشروع السلجوقي لتوحيد الامة الاسلامية في عهد السلطان طغرلبيك، ص6  
(2) بعض المؤرخين من ذهب الى ان طغرل هو اول من بادر بارسال رسالة الى الخليفة القائم راجيا فيها الاعتراف بدولته، وذهب اخرون ان الخليفة هو اول من ارسل رسالة الى طغرل طالبا منه المجئ الى بغداد لانقاذ الخلافة وتحرير من وزيره ابا مسلمة. ينظر: الراوندي، راحة الصدور، ص166-167؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 47/11.

(3) الاصفهاني، عماد الدين محمد، البستان الجامع لجميع تواريخ اهل الزمان، ص288

(4) الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص18؛ الراوندي، مصدر سابق، ص171

(5) ابي الفداء، الملك المؤيد، تاريخ ابي الفداء، 113/2

(6) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، 141/1؛ العمراني، الانباء في تاريخ الخلفاء، 190/1

(7) هو ابو نصر منصور بن محمد الكندري، وزر للسلطان طغرلبيك لما تمتع به من مؤهلات شخصية مقرونة بقدر كافي من الادارة والحنكة السياسي، مات قتلاً بعد وفاة السلطان طغرل سنة 456هـ. ينظر الاصفهاني، البستان الجامع، 289/1؛ و ابن خلكان، وفيات الاعيان، 138/5

(8) ينظر بحثنا الوزير عميد الملك الكندري ودوره في رسم سياسة السلاجقة، ص21

(9) امين، مصدر سابق، ص10

(10) الخطيب، مصطفى عبدالكريم، معجم المصطلحات والالفاظ التاريخية، ص269-270

وفي عام (448هـ/1056م) أعلن القائد التركي البساسيري العصيان الذي وجدت فيه الدولة الفاطمية ضالتها في تخنيده لدعوته فاصبح يشكل خطرا على الخلافة العباسية بعد ان وفق في تخنيده بعض الامراء العرب مثل (قريش بن بدران العقيلي) و (نور الدين ديبس بن علي الاسدي) وعقد تحالف معهما لان الوجود السلجوقي قد اصبح يهدد مصالح هؤلاء جميعا<sup>(1)</sup>.

زحف البساسيري نحو الموصل واستولى عليها وقرأ الخطبة باسم الفاطميين<sup>(2)</sup>، مما اضطر طغرل الى السير من بغداد قاصداً الموصل حيث تمكن من قمع فتنة البساسيري عام (449هـ/1057م) وعين اخاه ابراهيم ينال واليا على الموصل والجزيرة ثم قفل راجعا الى بغداد<sup>(3)</sup>.

وفي عام (450هـ/1058م) أعلن ابراهيم ينال العصيان مما اضطر طغرل للخروج اليه لاختاد هذه الفتنة مما مكن البساسيري من الوصول الى بغداد ودخولها بسهولة ويسر من دون اي مقاومة<sup>(4)</sup>. وهذه احدى المثالب التي تحسب على على السلاجقة حيث قام طغرل بتجريد الخليفة من السلطة ومنعها منه من تشكيل جيش خاص بالخلافة.

كان اول ما بادر به البساسيري بعد دخوله بغداد هو قتل الوزير ابن مسلمة<sup>(5)</sup>، واسر الخليفة القائم وايداعه مع مهارش صاحب حديثه لتفرض عليه الإقامة الجبرية<sup>(6)</sup> بعد ان اجبر الخليفة على التنازل عن الخلافة واقراره باحقية العلويين بالخلافة دون ال عباس<sup>(7)</sup>، ثم خطب في جامع المنصور ببغداد للمستنصر بالله الخليفة الفاطمي حاكم مصر، وحذف اسم الخليفة العباسي القائم بالله<sup>(8)</sup>. ولم تسلم بغداد من السلب والنهب والاعتداءات على الناس.

بعدها ارسل الخليفة من مكان اسره برسالة الى طغرل يستنجد فيها بالسلطان، فلم يتوان السلطان في الاستجابة لندائه فقفل راجعا الى بغداد بجيشه بعد ان ظفر باخيه ينال فقتله، ودخل بغداد بعد ان فر البساسيري منها فقمع انتفاضته وقتله سنة (451هـ/1059م)<sup>(9)</sup>. وارجع الخليفة العباسي الى دار الخلافة فعظم نفوذ طغرل ولقبه الخليفة بلقب جديد هو (ملك المشرق والمغرب) واجمل عليه بالعطايا والنعم، وفي ذلك تقول تامارا تالبوت<sup>(10)</sup>: "وقام الخليفة

<sup>(1)</sup> ابن خلدون، التاريخ، 292/2

<sup>(2)</sup> ابن الاثير، الكامل في التاريخ،

<sup>(3)</sup> ابو الفداء، تاريخ ابي الفداء، 108/2

<sup>(4)</sup> ابن الجوزي، المنتظم، 192/8

<sup>(5)</sup> ابن كثير، البداية والنهاية، 78/12

<sup>(6)</sup> سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، 94/19

<sup>(7)</sup> المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، 253/2

<sup>(8)</sup> م. ن.، 252/2

<sup>(9)</sup> الراوندي، راحة الصدور، ص 175

<sup>(10)</sup> السلاجقة تاريخهم وحضارتهم، ص 29

مقابل ذلك بالانعام على صاحبه البطل بالتقدير والتكريم والبسه عبائه واجلسه على عرش رائع مناديا به حاكما للشرق والغرب".

غدا طغربك بعد هذه الانتصارات اكثر تمكينا وقوة، واسبغت فضائله الخليفة والخلافة، واصبح اكثر قربا من تحقيق هدفه، فاقدم طغرل سنة (453هـ/1062م) بطلب يد ابنة الخليفة القائم للزواج، وهذا ما لم يقدم عليه احد من قبل، فنارت ثائرة الخليفة رافضا هذا الطلب، وقاومه بصور مختلفة، لكن دهاء وفطنة الوزير السلجوقي الكندري ارغمت الخليفة على قبول هذا الزواج<sup>(1)</sup>.

استغل طغربك ضعف الخلافة ووهنها فبدأ يستأثر بجميع السلطات في العراق حتى ما كان يتعلق منها بالخليفة حيث استحوذ على سلطة الخليفة وسلبه امتيازاته واختصاصاته وعمل على حمل الموارد المالية الى الخزانة السلجوقية بدلاً من خزانة الخلافة وهكذا اصبح الخليفة العباسي مجردا من النفوذ حتى داخل عاصمة الخلافة، ويعيش من اقطاعات مقررة له من قبل السلطان السلجوقي.

وبعد وفاة طغربك تناوب على الحكم سلاطين امتازوا بالقوة والنفوذ وكان اخرهم السلطان مُحمَّد بن ملكشاه لذلك سميت فترتهم بعصر السلاطين الاقوياء. وقد تعرض الخليفة العباسي المقتدي بالله (467-487هـ/1075-1094م) في عهد السلطان ملكشاه لكثير من الامتهان ففي عام (485هـ) توجه السلطان ملكشاه الى بغداد لعزله، فطلب الخليفة منه مهلة عشرة ايام فوافق السلطان على ذلك ولكن شاءت الاقدار ان يتوفى السلطان قبل انقضاء المهلة<sup>(2)</sup>.

وبعد وفاة مُحمَّد بن ملكشاه شهدت الساحة السياسية سلسلة من الصراعات بين السلاطين السلاجقة للسيطرة على مقدرات الخلافة. مما انعكس على علاقتهم بالخلفاء، ففقدت الخلافة القوة التي كانت تردع بها امراء الاطراف مما شجع في تحريك اطماع امراء الاطراف ودفعهم الى تحقيق مآربهم والحصول ما امكن لمكاسب اخرى، مما ادى الى مهاجمة بغداد اكثر من مرة.

لقد ادركت الخلافة العباسية ضرورة استغلال حالة الفوضى والضعف والانقسام والصراع بين السلاطين لاسترداد هيبة الخلافة ومكانتها، والتخلص من النفوذ السلجوقي الذي عانت منه بغداد على جميع الصعد السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وقد اجمل البنداري وصف حقيقة ما الت اليه بغداد ابان الاحتلال السلجوقي بقوله: "كانت السدة الشريفة قد منيت بجور الاعاجم وكان اهون ما عندهم خلاف الخليفة وعناده.. ولم تزل بغداد مظلمة مشحونه منهم بالشحن المظلمة.. والدماء مستباحة مهذرة، والخليفة يُقدَّرُ عليه، ولا يُقدَّرُ ويُغَدَّرُ به"<sup>(3)</sup>. فجرت محاولات جاده وصادقة وصادقة لانعاش الخلافة العباسية واعادة هيبتها، والاستقلال من الهيمنة السلجوقية التي تطاولت لعقود من الزمن واول

(1) ينظر بحثنا(الوزير عميد الملك الكندري ودوره في رسم سياسة السلاجقة)، ص11

(2) سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، 294/19

(3) البنداري، تاريخ دولة ال سلجوق، ص214

هذه المحاولات كانت على يد الخليفة المسترشد بالله (512-529هـ/1118-1135م) الذي عمل على التخلص من النفوذ السلجوقي فبدأ باعادة بناء قواعد الخلافة واسترداد هيبتها وعن ذلك قال الذهبي<sup>(1)</sup>: "وجدت المسترشد قواعد الخلافة واحيا رميمها، ونشر عظامها، وهابته الملوك". وبعد اطمأنانه على احكام بناء قواعد الخلافة ابدى الخليفة المسترشد انزعاجه من سياسة السلاجقة وتطاولهم على مؤسسة الخلافة واستعداده للحرب ضد السلطان محمود بقوله: "فوضنا امورنا الى ال سلجوق فبغوا علينا فطال عليهم الامد فقسفت قلوبهم وكثير منهم فاسقون"<sup>(2)</sup>. واستغل غفلة السلاطين المتصارعين ليكون جيشا قادرا على الدفاع عن مصالح العباسيين، وقد استعرض هو وهذا الجيش في زي لم يرى مثله،<sup>(3)</sup> بعد ان منع العباسيين من تكوين جيش خاص بهم منذ سيطرة البويهيين ومن بعدهم السلاجقة الذين تولوا زمام هذا الامر.

استطاع المسترشد ان يحكم امره على معظم المناطق، وامتدت سلطة الخلافة الى اماكن كانت غير قادرة على الوصول اليها في ظل سيطرة السلاجقة. بيد ان هذه القوة العسكرية الجديدة للعباسيين دفعت السلاجقة الى استهداف الخليفة وبالفعل تم قتله غيلة بعد ان اسر من قبل السلطان مسعود<sup>(4)</sup>. ولكن هذه البذرة التي زرعها المسترشد رعاها وادامها من بعده ابنه الراشد بالله (529-530هـ/1135-1136م) وليمهد بجهوده وجهود ابيه الطريق للمقتفي لان يسدد ضربة قوية للوجود السلجوقي. وقد نجح بتكوين جيش للخلافة بعد ان انتزع موافقة من السلطان مسعود باعادة تأسيس جيش الخلافة، فقد كتب السلطان مسعود: "قد برئت ذمة امير المؤمنين من العهد الذي بيننا، وقد أذنت ان تجدد عسكرياً وتحتاط لنفسك وللمسلمين فجدد"<sup>(5)</sup>.

قاد الخليفة المقتفي الجيوش بنفسه واعاد سيطرة الخلافة على سائر البلاد العراقية. بل اخذ بالسيطرة على الاقطاعات التي كان يملكها السلاجقة وسار على منواله المستنجد بالله (555 - 566هـ/1160-1170م) من بعده. وعن هذا الوضع الجديد للخلافه العباسيه قال حسين امين<sup>(6)</sup>: "ان الخلافة العباسية قطعت مرحلة كبيرة من مراحل النزاع بينها وبين السلاجقة واعوانهم، فان محاولات الخلفاء المسترشد والراشد والمقتفي والمستنجد اتت ثمارها، واصبحت الدولة العباسية ذات مركز مرموق، وصار ينظر الى الخليفة نظرة هيبية وتقدير".

وكان الخليفة الناصر لدين الله (575-622هـ/1180-1225م) مسك الختام، فعلى يده سقطت الدولة السلجوقية، وانتهى ملكهم سنة (590هـ)، قال ابن الطقطقي: "وكان يافعة زمانه، ورجل عصره في ايامه انقضت دولة

(1) العبر في اخبار من غير، 432/2

(2) امين، تاريخ العراق، 152/1

(3) ابن الجوزي، المنتظم، 35/10

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 256/5

(5) ابن الجوزي، المنتظم، 132/10 ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 174/9

(6) تاريخ العراق، ص 161-162

ال سلجوق بالكلية"<sup>(1)</sup>. حيث تمكن بسياسته السديدة وهمنه العالية من تخليص معظم العراق من حكم السلاجقة، وتحول وضع الخلافة من الخنوع والخضوع لهيمنة سلاطين السلاجقة، وحال السمع والطاعة ودفع الاتاوات الى الفعل السياسي العسكري الذي تكفل بتمكين الخلفاء من حكم العراق حكما مباشرا ومستقلا.

### المبحث الثاني: علاقة الوعاظ بالسلطة السياسية

من المسلم به ان الوعظ كان حاجة ملحة فهو اسلوب دعوي له اهمية بالغة في اصلاح القلوب، وتهذيب النفوس، وصيانة الحياة من الشر، والتحريض على الخير وصيانة المجتمع من عوامل الفساد لذا حرص عليه النبي صلى الله عليه وسلم وكان يتخول اصحابه بالموعظة ثم حرصت عليه الاجيال تباعا، وجعلت سنام امره هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال البيهقي<sup>(2)</sup> رحمه الله: "إن الله تعالى جعل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرق ما بين المؤمنين والمؤمنات" لأنه تكليف ليس بالهين ولا باليسير إذا نظرنا الى طبيعته والى اصطدامه بشهوات الناس ونزواتهم ومصالح بعضهم ومنافعهم، وفيهم الظالم الذي يكره العدل وفيهم المنحرف الذي يكره الاستقامة، والوقوف في وجه الشر سواء جاء هذا الشر من الحكام المتسلطين أو الأشرار المتسلطين بالاذى. قال (عليه وسلم): (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)<sup>(3)</sup>.

وبتوالي السنين والأجيال بدأ الوعاظ يفترون عن هذا المقصد السامي وأذن بظهور وعاظ خلطوا الحابل بالنابل، وصار بعضهم كحاطب ليل لا يدري ما يقول، أصبح أم باطل، صدق أم كذب، وقد وصفهم ابن الجوزي بقوله: "ان الوعاظ كانوا في قديم الزمان علماء فقهاء.. ثم خست هذه الصناعة، فتعرض لها الجهال، فبعد عن الحضور عندهم المميزون من الناس وتعلق بهم العوام"<sup>(4)</sup>. لا بل قد افرد ابن الجوزي فصلا خاصا لنقد الوعاظ في كتابه تلبيس ابليس بعنوان (ذكر تلبيسه على الوعاظ والقصاص)، وقد اشار فيه الى ما وقع فيه بعض الوعاظ من مخالفات شرعية ومغالطات اخلاقية، منها وضعهم احاديث ضعيفة بقصد الترغيب والترهيب، وحث الناس على الخير وكفهم عن الشر ثم نسوا قوله (ص): (من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار). ومنهم من يزوق عبارات لا معنى تحتها، ولا يكادون يذكرون الفرائض ولا ينهون عن ذنب، ومنهم من يتكلم في الرجاء والطمع من غير ان يمزج ذلك بما يوجب الخوف والحذر فيزيد الناس جراة على المعاصي.<sup>(5)</sup>

ان الواقع السياسي وأفرازاته الاجتماعية والاقتصادية أدت الى تنشيط حركة الوعاظ ومجالسهم في القرنين الخامس والسادس الهجريين وبسبب تباين واختلاف مشارب واهداف الوعاظ، واختلافهم بالقدرة والموهبة والدراية والفهم

<sup>(1)</sup> ابن الطقطقي، الفخري في الاداب السلطانية، ص 260

<sup>(2)</sup> شعب الايمان، 84/6

<sup>(3)</sup> المزي، تحفة الاشراف بمعرفة الاطراف، 423/3

<sup>(4)</sup> ابن الجوزي، تلبيس ابليس، ص 11

<sup>(5)</sup> ابن الجوزي، تلبيس ابليس، ص 111-112

ومستوى التعلم، تباينت مواقفهم من السلطة تبعاً لذلك فظهرت مجموعته من الوعاظ لم يمنعها انصرافهم عن الدنيا وانشغالهم بالدين والعلم في هذا العصر من ان تأخذ دورها الريادي في توعية الناس مما دفع الناس للالتفاف حولها وان يكون مجالسهم الدور المميز في التوجيه والارشاد ولا سيما ان عموم الناس في بغداد والمدن العراقية الاخرى خلال حكم السلاجقة توافقون لسماع المواعظ في المجالس العامة اكثر من ميلهم لسماع العلماء والفقهاء في المدارس بسبب الظلم السياسي والتناقض الاقتصادي والاجتماعي، فأفرزت هذه الظروف طبقة من الوعاظ لا يخافون في الله لومة لائم صداعون بالحق، برغم علمهم انهم قد يكونوا عرضة لغضب السلاطين وانتقامهم كقتل الخليفة المستنجد بالله الذي ازدهرت سوق المعرفة في أيامه لأديب لامع كابن حمدون<sup>(1)</sup> بعد سجنه لأنه وجد في كتابه (التذكرة) كتابات توهم غضاضة الدولة<sup>(2)</sup>. وكذلك حبس العالم الواعظ ابن الجوزي بأمر وزير الخليفة الناصر لدين الله ابن القصاب بسبب طروحاته الفكرية وتصديه للفساد من خلال مواعظه وتأليفه فارسل ابن القصاب اليه من شتمه وأهانته وختم على داره وشتت اهله وصودرت مكتبته ونتاجه العلمي والفكري، ثم وضع في سفينة صغيرة ونفيه الى مدينة واسط وحبسه في بيت ضيق وكان شيخاً مسناً قد جاوز الثمانين ومنعت عنه الناس لمدة خمس سنوات من ( سنة 590هـ الى سنة 595هـ ) ثم اطلق سراحه ولم يعيش بعدها سوى عامين<sup>(3)</sup>.

ولم يألوا هؤلاء الوعاظ جهداً باسداء النصيحة والارشاد والتذكير للحكام والامراء مما ادى الى كسب قلوب الناس وازدحامهم على مجالسهم ولفت انظار الحكام اليهم فبدلوا كل ما يستطيعون لتقريبهم ومحاوله ارضائهم، ومن هؤلاء الوعاظ الشيخ عبدالقادر الكيلاني رحمه الله فكان يصعد بالحق على المنبر وينكر على الظلمة، ولما ولي الخليفة المقتفي لامر الله القاضي ابن المرخم<sup>(4)</sup> الظالم قال على المنبر مخاطباً الخليفة: "وليت على المسلمين أظلم الظالمين فما جوابك غداً عند رب العالمين"<sup>(5)</sup>. وكان الناس تتزاحم على مجلسه "حتى صار مجلسه يضم سبعين ألفاً"<sup>(6)</sup>، ثم تزايد الاقبال عليه حتى حتى ضاقت المدرسة فخرج الى سور بغداد بجانب رباطه. وكان الخليفة المقتفي من الذين يحرصون على حضور مجلس شيخ عبدالقادر<sup>(7)</sup>.

(<sup>1</sup>) ابو المعالي مُجَدِّ بن ابي سعد الكاتب، الملقب بكافي الكفاءة، كان فاضلاً ذا معرفة تامة بالادب والكتابة، وصنف كتاب التذكرة يشتمل على التاريخ والادب والنوادر والاشعار، قتل حبساً سنة 562هـ. ينظر ابن خلكان، مصدر سابق، 4/380

(<sup>2</sup>) الاصفهاني، خريدة القصر، ص184

(<sup>3</sup>) ابن خمارويه، شمس الدين مُجَدِّ بن علي، أنباء الأمراء بأبناء الوزراء، ص112؛ والسلامي، زين الدين، ذيل طبقات الحنابلة، 2/504

(<sup>4</sup>) هو ابو الوفاء يحيى بن سعيد بن المظفر، صار اقضى القضاة ببغداد في ايام المقتفي، وقد وصمه المؤرخون بالظلم والجور والارتشاء، قتل عام (555هـ/1160م). ينظر ابن الجوزي، المنتظم، 10/194؛ ابن الاثير، الكامل، 10/170

(<sup>5</sup>) النادي، فلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبدالقادر، ص6

(<sup>6</sup>) العمري، مسالك الابصار، 5/104

(<sup>7</sup>) الجوزي، المنتظم، 10/219

ولم ينفك الواعظ والعالم الامام الغزالي بتوجيه النصح والارشاد الى الحكام وتذكيرهم بمسؤوليتهم امام الله، وانهم القدوة للريعية، وان طباع الريعية تجري على عادة ملوكها، وهم محط انظار الناس، فقال للسلطان مُجَّد بن ملك شاه السلجوقي: "لتعلم ان في كل زمان تقتدي الرعية بالسلطان، ويعملون بأعماله، ويقتدون بأفعاله".<sup>(1)</sup> ونبه الامام الغزالي يوماً السلطان بما يعانيه الناس وقد اثقلت كواهلهم الضرائب والسلطان في شغل عنهم قائلاً له: "أسفًا إن رقاب المسلمين كادت تنقض بالمصائب والضرائب، ورقاب خيلك كادت تنقض بالاطواق الذهبية"<sup>(2)</sup>

كما وعظ الشيخ احمد بن علي بن احمد الرفاعي<sup>(3)</sup> الخليفة المستنجد بالله قائلاً: "لا تنظر يا أمير المؤمنين ما عليه القياصرة وملوك المجوس من القوة في ملكهم .. أما انت يا امير المؤمنين فحافظ ثغور وحارس دماء واموال، واياك وظلم العباد، وإذا استوزرك الشيطان ورام نزغك الى الظلم فسل نفسك أن لو كنت مسجوناً أو مظلوماً أو مقهوراً أو مكذوباً عليك ما الذي تريده لنفسك من سلطانك، وعامل الناس بما تريده لنفسك فأنتك أن فعلت ذلك وفيت العدل والادمية حقهما".<sup>(4)</sup>

اما الواعظ والفقيه ابي عمارة<sup>(5)</sup> فقد وعظ الوزير نظام الملك عند مجيئه الى بغداد، وذكره بأنه اجير هذه الامة، وعليه ان لا يدخر جهداً في السعي لمصالح المسلمين، وضرب مثالا لملك عادل بقوله: "وهذا ملك الهند وهو عابد صنم ذهب سمعه فدخل عليه اهل مملكته يعزونه في سمعه، فقال: ما حزني لذهاب هذه الجارحة من بدني، ولكن لصوت المظلوم كيف لا اسمعه فأغيثه، ثم قال: إن كان قد ذهب سمعي فما ذهب بصري، فليؤمر كل ذي ظلامة أن يلبس الاحمر حتى اذا رايته عرفته فانصفته"<sup>(6)</sup>

وفي سنة (532هـ/1137م) اصدر السلطان مسعود امراً بجباية ضريبة العقار فلقي الناس من ذلك شدة، وشكوا حالهم، فخرج رجل صالح يقال له ابن الكواز<sup>(7)</sup> فلقي السلطان بالميدان، فوصف له تدمير الناس من تجاوزاته على

(1) الغزالي، التبر المسبوك، ص 51

(2) بسطامي، مُجَّد سعيد، مفهوم تحديد الدين، ص 63-64

(3) ابو العباس احمد بن علي بن احمد الرفاعي، ولد بقرية ام عبيد ببطائح العراق، عرف بصلاحه وانضم اليه خلق الفقراء واخذوا منه الاعتقاد وهم الطائفة الرفاعية، مات سنة 578هـ ولم يعقب. ينظر ابن المستوفي، تاريخ اربل، 2، 569

(4) الرفاعي، الوصايا، ص 10

(5) ابي عمارة المعمر بن علي الواعظ، الفقيه، المفتي، له خاطر حاد وذهن بغدادى، ولفصاحته كان يحاضر الخليفة المستظهر بالله. ينظر: ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، 248/1 ؛ وسبط ابن الجوزي، مراة الزمان، 61/20

(6) ابن الجوزي، المنتظم، 174/9 ؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 25/6

(7) هو عمر بن احمد بن الكواز الزاهد، العابد، من ساكني الجعفرية، كان من عباد الله الصالحين، يامر بالمعروف وينهى عن المنكر، وله اصحاب واتباع يوافقونه على ذلك. مات سنة (543هـ) ودفن في باب حرب. ينظر: ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد،

الناس، فقال ل: " انت المطالب بما يجري على الناس، فما يكون جوابك، فانظر بين يديك، ولا تكن كمن قيل له اتق الله، أخذته العزة بلاثم "(1) فأمر السلطان باسقاطها .

واما الامام القدوة العابد الواعظ ابو عبدالله محمد بن يحيى بن علي بن مسلمة الزبيدي (2) فلم يكن اقل شأواً من سابقه في قول الحق ولو كان مرا، ولم يكن يماريء ويتزلف الى الحكام، وقد قال عنه ابن الجوزي: "كان يقول الحق ولو كان مرا، ولا تأخذه في الله لومة لائم" (3). وقد دخل يوما على الوزير شرف الدين الزينبي وعليه خلعة الوزارة، وهم يهنؤنه، فقال: هو ذا يوم عزاء لا يوم هناء. فقيل: ولم، قال: أهنيء على لبس الحرير؟ (4)

كما كانت هناك طبقة من الوعاظ ترفض مداينة الحكام وتتورع عن مجاملتهم وتأنف عن تعظيمهم، واختلطت عندهم كرامة النفس بكرامة الحق، ورفضوا ان يكون وعظهم دائراً في فلك الحكام، فقد سجل وعاظ الاسلام مواقف خالدة في نصيح السلاطين وتعكير أمزجتهم بقوارع الوعظ. ومن هؤلاء الواعظ ابو الحسن الغزنوي (5) حيث اقبل الناس عليه وصار له جاه عظيم عند بيت الخلافة والسلطنة معا، وبنت له خاتون زوجة الخليفة المستظهر رباطا، وكان السلطان يزوره والامراء، ورغم هذا حُيس وصودرت املكه ثم أخرج ومنع من الوعظ لأنه كان لا يعظم الخلافة كما ينبغي. قال ابن الجوزي: خاطب يوما الخليفة المقتفي قائلاً: تتولانا وتغفل عنا. ثم انشد:

فما تصنع بالسيف إذا لم يك قتالاً

فغير حلية السيف وصغره لك خلخالاً (6)

وقد نقل عن الواعظ، ابو البركات يحيى بن عيسى بن ادريس الانباري (ت552هـ) انه كان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويتورع ان ياخذ أي شيء من الحكام، حتى انه في احد الايام بلغ به العطش مبلغا فجيء بماء من بعض دور الحكام فرفض ان يشرب (7).

(1) ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، 28/5

(2) الامام القدوة العابد الواعظ، نزيل بغداد كان نبيلاً غزير الفضل، صدوقاً، وصنف في فنون العلم نحو من مائة مصنف، توفي سنة 555هـ. ينظر المنذري، التكملة لوفيات النقلة، 3/303؛ القرشي، الجواهر المضية، 2/142

(3) ابن الجوزي، المنتظم، 10/198

(4) الذهبي، سير اعلام النبلاء، 20/318-319

(5) هو ابو الحسن علي بن الحسين الشافعي، عرف بالمرؤة والسخاء، له معرفة ودراية بالفقه والتفسير، حدث ببغداد وصار له جاه عظيم، توفي سنة 551هـ. ينظر: الداوودي، طبقات المفسرين، 1/404

(6) الذهبي، تاريخ الاسلام، 12/33

(7) ابن مفلح، المقصد الارشد، 3/101

وبعضهم تعرض للاضطهاد والتنكيل والنفي لرفضهم مهادنة الحكام وتحملوا وزر وتبعات مواقفهم وهذا ما تعرض له الواعظ ابو المؤيد الغزنوي<sup>(1)</sup> عندما اغلظ القول والنصيحة لوزير الخليفة (سديد الملك) حيث قال له في مجلس عند عميد الدولة جهيز: من شرب مرقاة السلطان احترقت شفتاه ولو بعد حين. ثم قرأ **نبي بر بز بم بن جي تر** **تر تم بن تي**<sup>(2)</sup>. ثم انشد:

سديد الملك سدت وخضت بحراً عميق اللج فاحفظ فيه روحك

فأخرج من بغداد لعلبته على قلوب الناس<sup>(3)</sup>.

والحقيقة ان الخلفاء والسلاطين والامراء لم يألوا جهداً في التقرب والتودد للوعاظ اللذين كان لهم قبول واقبال من قبل الجماهير، والذين كان يُحرص على حضور مجالسهم، وحاولوا بعدة طرق استرضائهم وتكريمهم ابتغاء توظيف هذه المجالس الوعظية للدعاية السياسية وارضاء الناس من خلاهم. ولقد ارفدتنا المصادر التاريخية بصور متعددة عن حرص الحكام والامراء من حضور هذه المجالس الوعظية كمجلس الواعظ والفقيه يوسف الهمداني (ت 535هـ) الذي كان يعرض في بغداد وقد اقبل عليه الناس وتزاحموا على مجلسه فكان له تأثير كبير على الراي العام في بغداد بعد ان جلس في النظامية في بغداد واعطاء، وكان المشايخ يعظمون قدره، وتودد اليه الحكام والامراء لما لاقاه من قبول عظيم<sup>(4)</sup>. ويخبرنا الذهبي في ترجمة الواعظ ابي الخير الطالقاني<sup>(5)</sup>، انه حين عقد مجلس الوعظ " صارت وجوه الدولة ملتفة اليه، وكثر التعصب له من الامراء والخواص، واحبه العوام ويحضر مجلسه امم.. وحضر وعظه الخليفة المستضيء من وراء ستر "<sup>(6)</sup>

وكذلك واعظ ذلك العصر المظفر ابو الحسن العبادي<sup>(7)</sup> الذي سلب قلوب الناس قبل عقولهم وحظي باهتمام السلطين والخلفاء في بغداد وقد جلس للوعظ في المدرسة النظامية فتكاثر عليه الناس وتأثروا به وعجز المكان عن استيعابهم، حتى انه اذا نزل رباطا فيه بركة ماء كبيرة يتوضأ فيها اقبل الناس عليها ينقلون منها الماء بالقوارير والكيزان

(1) هو ابو المؤيد عيسى بن عبدالله الغزنوي، الواعظ الكاتب الشاعر، ورد بغداد ووعظ بها، وبع اخراجه منا قصد غزته ومات في الطريق سنة 498هـ. ينظر: ابن المستوفي، مصدر سابق، 2/309؛ الحضرمي، قلادة النحر، 3/566

(2) سورة ابراهيم، اية: 45

(3) سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، 19/537

(4) م . ن ، 20/331

(5) هو احمد بن اسماعيل بن يوسف القزويني الفقيه الشافعي، كان اماما بالتفسير والوعظ، كثير العبادة والصلاة، ولي التدريس بالمدرسة النظامية، ثم عاد الى قزوين ومات فيها سنة 590هـ. ينظر: ابن ماكولا، الاكمال، 2/382؛ الداوودي، طبقات المفسرين، 1/32

(6) الذهبي، سير اعلام النبلاء، 21/193

(7) هو المظفر بن اردشير ابو منصور العبادي، الواعظ دخل بغداد ووعظ بها، كان احسن الناس كلاما وارشقهم عبارة، ترعرع في هذا الفن الى ان صار ممن يضرب به المثل في حسن الصنعة، توفي سنة 547هـ. ينظر: السبكي، طبقات الشافعية، 7/299؛ ابن الملحق، العقد المذهب، ص 510

تبركا حتى كان يظهر فيها نقصان الماء. ولم يخل باسداء النصح والارشاد للسلطين والامراء، وكان له قبول بينهم، وقد اقبل عليه الخليفة المقتفي لامر الله ورفعته وبجله، وامره بالجلوس في جامع القصر<sup>(1)</sup>.

كما سطع نجم العالم والمؤرخ والواعظ ابن الجوزي وقد هام الناس والملوك بمواعظه وطريقه القائه وحسن اختياره لالفاظه وفصاحته وبلاغته فتكالبوا على مجلسه وغص بهم المكان فكانت مجالسه من اكثر المجالس حضوراً، حتى كان عشرات الالاف يتزاحمون لحضور مجلسه، بل بعضهم قد بالغ في تقدير حضور الناس فقال: انه كان يحضر مجلسه مائة الف. وكان محط اهتمام الخلفاء وتشجيعهم له حتى ان الخليفة المستضي بالله اكرمه واعطاه مالاً بعد احدى خطبه، وكان يدعى لالقاء مواعظه في باحة قصر الخلافة ليتمكن الخليفة واهل بيته من سماع المواعظ من مكان مستور<sup>(2)</sup>.

وهناك حقيقة يجدر ان يشار اليها هي ان معظم الخلفاء كانوا يتصدون بحزم لكل من شط وشذ من الوعاظ الذين يثيرون الفتن الطائفية منها او المذهبية او العرقية والتي تفضي الى خلخلة النسيج الاجتماعي البغدادي، وكانوا يضربون بيد من حديد على مثل هؤلاء الوعاظ ويمنعونهم من الوعظ ويخرجوهم من الاربطة مهما علت منزلة هذا الواعظ عند الناس او اكثر مريدته، ولا يترددون الى نفيه ان استدعى الامر الى ذلك.

ومن الذين طالتهم عقوبة السلطين او الحكام من هؤلاء الوعاظ الواعظ الشهاب محمد الطوسي<sup>(3)</sup> الذي اثار الناس الناس عليه بقوله: "ان ابن ملجم لم يكفر بقتل الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)"<sup>(4)</sup> مما ادى الى سخط الناس عليه، وهاجوا عليه ورموه بالاجر، فأمر الخليفة المستضيء لامر الله بان لا يجلس للوعظ ثانية، ولا يخرج من رباطه، ثم امر بنفيه الى مصر.<sup>(5)</sup> كما ان الواعظ ابو القاسم القشيري<sup>(6)</sup> لما عقد مجالس الوعظ ببغداد وظهر له القبول العظيم أظهر مذهب الاشعري، وقامت سوق الفتنة بينه وبين الحنابلة وثار العوام الى حد التقاتل بينهم فأمر الوزير نظام الملك بأن يأمره بالرجوع الى وطنه، فأحضره نظام الملك وأكرمه وأمره بلزوم وطنه<sup>(7)</sup>

(1) ابن الاثير، مصدر سابق، 345/9؛ الاصفهاني، دولة ال سلجوق، ص 196

(2) الذهبي، تاريخ الاسلام، 6/40

(3) هو الشهاب ابي الفتح محمد بن محمود الطوسي، كان جامعاً للفنون، حلو العبارة فصيحاً، قدم بغداد ووعظ بها وزاد قدره، اتى مصر وتردد اليه الفقهاء. توفي سنة 596هـ. ينظر: المقرئ، المقفى الكبير، 7/78؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، 21/387

(4) ابن الجوزي، المنتظم، 10/219

(5) اليافعي، مرآة الجنان، 3/194

(6) هو ابو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري النيسابوري، كان اماماً فقيهاً اصولياً مفسراً واثقاً علم التصوف، حدث ببغداد ببغداد وكان حسن الموعظة، توفي في نيسابور سنة 465هـ. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 12/366؛ ابن خلكان، مصدر سابق، 3/207

(7) صلاح الدين، محمد بن شاکر، فوات الوفيات، 2/311

ويذكر ابن الجوزي في المنتظم<sup>(1)</sup> ان الواعظ الحسن بن ابي بكر النيسابوري (538هـ) الذي كان يجلس سنة (538هـ) في جامع القصر وجامع المنصور ويلعن الاشعري جهراً، ويقول: كن شافعيّاً ولا تكن اشعريّاً وكن حنفيّاً ولا تكن معتزليّاً، وكن حنبليّاً ولا تكن مشبهاً. فاصاب فتنه، فرجم ببغداد مراراً، ثم اخرجته السلطان من بغداد .

وذكر الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات<sup>(2)</sup> ان الواعظ ابو الفتوح مُجَد بن الفضل بن مُجَد الاسفرايني من اهل خراسان اقام ببغداد يعظ، فبدأ يتكلم بما يسقط حرمة المصحف من قلوب العوام فافتن به خلق، وأفضى الحال الى النهب والضرب والسلب واستحلال الاموال والدماء فمنع الخليفة المسترشد ابي الفتوح الاسفرايني من الجلوس، وامر ان لا يقيم ببغداد .

ومن الوعاظ من طبقت شهرته الافاق باثارة الفتن وتأليب الناس مثل الواعظ ابو طالب عبدالله بن اسماعيل (ت 634هـ) حيث وصفه الذهبي<sup>(3)</sup> بقوله: " وما أقام ببلدة إلا انزعج منه لسوء سيرته " مما دفع الخليفة ان يأمر بضربه مائة عصا وقطع لسانه ويحمله الى المارستان العضدي وحبس في حجرة المجانين<sup>(4)</sup>

### المبحث الثالث: الوعاظ والتأسيس للفكر الاسلامي السياسي

إن الاضطراب السياسي وعدم الاستقرار الاجتماعي والفكري الذي ساد في تلك الفترة شكل أرضية خصبة للمؤرخين والمفكرين والعلماء الذين بدورهم لم ييخلوا على هذه الامة بنتائجهم الفكري ، وليرفدوا الحضارة الاسلامية بتراث يفتخر به على مر العصور. وليلقموها من وصف تاريخنا بانه لا يتجاوز سير وتراجم للعظماء والحكام والعلماء حجراً .

حيث ان الفكر السياسي الاسلامي بدأ بالوعظ ثم رويداً رويداً تبلور ليؤسس لنوع من الكتابات عرفت بكتب (الوعظ والنصيحة) وكان من رواد هذا النوع من الكتابات مجموعه من جهابذة العلماء الوعاظ تميزوا عن اقراهم علماً وفقها ودراية ليأصلوا للفكر السياسي الاسلامي قواعد وأسس ومناهج اوضحت فيها طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم وقضية العدل والظلم، وضرورة الطاعة للحاكم، وترسيخ مفهوم السلطة ومسؤوليات الخليفة تجاه الرعية واتجاه الامراء والوزراء والعاملين في معيته، فكتب الماوردي (ت 450 هـ) في كتابه ( درر السلوك في سياسة الملوك ) عن نظريته حول شرعية جديدة للخلافة من خلال اعادة تأسيس نظام الخلافة مع مجيء السلاجقة.<sup>(5)</sup>

(1) 36/18 ؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، 141/20

(2) 229/4

(3) تاريخ الاسلام ن 140/14

(4) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص3

(5) شاموياما، الدين والسياسة في الحقبة السلجوقية، ص175

ولم يغب عن تلك المؤلفات نَفْسُ الوعظ وإيمائاته فصبت معضمها في تذكير الحاكم بالعدل والانصاف والابتعاد عن الظلم، وسياسة الرعية ومداراتهم. بل اعتبرت ان تقديم النصيح للحاكم كي يحقق العدل هو اقصى واجب على العلماء، لذا نرى ان بعض الكتب الفت الى حاكم بعينه او خليفة او وزير مثال ذلك كتاب (التبر المسبوك في نصيحة الملوك) للامام الغزالي (ت 505هـ) والذي افه للسلطان السلجوقي مُحمَّد بن ملكشاه والى الحميدي، ابن ابي نصر (ت 488هـ)، كتاب (الذهب السبوك في وعظ الملوك) والى امام الحرمين الامام الجويني (ت 478هـ) كتاب (غياث الامم في الثيات الظلم) للوزير السلجوقي نظام الملك (ت 485هـ)<sup>(1)</sup>، برغم ان هذا الاخير قدم عصارة تجاربه في الحكم والادارة من خلال مؤلفه (سياست نامه) او (سير الملوك) في النظام السياسي الاسلامي ضمنه آراءه في السياسة والحكم وأسس قيام الدولة وادارتها الناجحة، وتنظيم شؤون الحكم مشفوعة بتجاربه الشخصية وسير الملوك. ثم الف ابن الجوزي كتاب (المصباح المضيء في خلافة المستضيء).

وبرغم ان هذه المصنفات جميعها في الفكر السياسي الاسلامي لكنها عاجلت محاور محددة ولم تستطيع ان تلج في منظومة معالجة اشكالية اليه اختيار الخليفة بدلا عن تنصيب الخليفة في اعلى هرم السلطه عن طريق الوراثة العقيم، برغم ان الموروث السياسي عن فترة النبوة والخلافة الراشدة ليس بعاصر عن أفراد العلماء والمنظرين في الفكر السياسي الاسلامي في كيفية اختيار الخليفة بدل النظام البائس الذي جعل الوراثة هي الاساس في اختيار الخليفة .

كما ان جميع هذه المصنفات لم تتعد في مضامينها عن وجوب طاعة الرعية للحاكم في السراء والضراء مهما شط الحاكم وانحرف، وجار وظلم، بحجة الخوف من الفتنة والفساد واضطراب الاحوال ومع من قال: "سلطان غشوم خير من فتنة تدوم"<sup>(2)</sup> ولم يخرج من هذا الثوب الا الامام ابو حامد الغزالي في بعض طروحاته واراته السياسي، فاستطاع ان يشرع لالية جديدة في تعامل المحكومين مع الحكام تعتبر نقطة انطلاق للاصلاح السياسي، وهي دعوته الى العصيان المدني اتجاه السلاطين الظلمة ان لم يرتدعوا بالموعظة والنصيحة واعتبر أن الدافع الرئيسي لوجوب مقاطعة السلاطين هو الظلم الذي أقترفوه بحق الأمة وعبر عن ذلك بقوله: "ان السلطان الظالم عليه أن يكف عن ولايته وهو أما معزول أو واجب العزل"<sup>(3)</sup>

---

(1) بالإضافة لعمله في الوزارة الا انه كان عالما واعضا ففي احدى مواعظه للسلطان ملكشاه حين استدعاه لوصول وشاية له ان نظام الملك يصرف ويذخ على المدارس النظامية، قال فيها: "أنا اقامت لك جيشا يسمى جيش الليل إذا نامت جيوشك قامت جيوش الليل على اقدمها صفوفها بين يدي رهم، فارسلوا دموعهم واطلقوا السنتهم بالدعاء لك ولجيوشك.. فانت وجيوشك في خفارتهم تعيشون، وبدعائهم تتشبثون وبكرتهم تمطرون وترزقون". ينظر الصلابي دولة السلاجقة، ص 91

(2) السري، احمد علي، ابن الجوزي والوعظ السياسي، ص 194

(3) الغزالي، احياء علوم الدين ، 140/2

وقد حدد خطوات هذا العصيان وامكانية ان يكون بصور متعددة<sup>(1)</sup> منها تحريم التعامل التجاري مع السلاطين الظلمة حيث اعتبر الغزالي ان التعامل التجاري معهم هو إغانة لهم باستمرار ظلمهم للرعية " فأما بيع الدراهم والدنانير .. مكروه لما فيها من أعانتهم على الظلم لأنهم يستعينون على ظلمهم بالاموال والدواب وسائر الأسباب " <sup>(2)</sup> كما حرم أي شكل من اشكال النشاط التجاري في الاسواق التي بناها السلاطين الظلمة لانها في رأيه أنها تعينهم على التماذي بظلمهم، حيث قال: " الاسواق التي بنوها بالمال الحرام تحرم التجارة فيها.. فإن ذلك إغانة لسكناهم وتكثيراً لكراء حوانيتهم " <sup>(3)</sup> وكذلك حرم التعامل مع قضاة السلاطين وخدمهم ووجوب مقاطعتهم لأن " معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمهم حرام كمعاملتهم بل أشد " <sup>(4)</sup>..

واللافت للنظر أن الغزالي لم يقف في معارضته لسياسات السلاطين الظلمة عند حد التنظير بل تعدها بتطبيق ما دعى اليه وجعله ممارسة واقعية وفعالية في تعامله مع الحكام، وعندما ارسل اليه الوزير احمد بن نظام الملك عام (504هـ) للتدريس في مدارس نظامية بغداد اعتذر ورفض الغزالي هذا الطلب وحرر رسالة بعثها الى الوزير متضمنة بعض ما قطعه وتعهده به على نفسه قائلاً فيها : " أني نذرت .. ألا أقبل مالاً من سلطان أو سلاطاني وألا أخرج للسلام على سلطان أو سلاطاني... ولا مناص من السلام على دار الخلافة بها، وأنا لم أمثل للسلام على أحد في بغداد " <sup>(5)</sup> .

وقد وضع الغزالي يده في وقت مبكر على بيت الداء حين اعتبر العلماء هم سبب فساد الحكام وتماديهم بظلمهم بتزني الباطل باعينهم وجعله حقاً " ففساد الملوك بفساد العلماء " <sup>(6)</sup>. فأغلظ القول لهم، وكان عنيفاً في تحريضهم على ان لا يدهنوا الحكام، والوقوف منهم موقف الأمر الناهي، مطالباً اياهم بقول الحق ولا تأخذهم في الله لومة لائم " أما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا. وأن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم " <sup>(7)</sup> .

وقد شاطر الشيخ عبدالقادر الكيلاني الامام الغزالي في تشخيصه هذا ولم يبتعد في مواعظه عن الاهداف التي ارتجأها الغزالي في مؤلفاته، فعاب على العلماء تقرهم من السلاطين بدافع الطمع مما في أيدي الحكام لأن هذا سيؤدي الى ثني العلماء عن القيام بدورهم في نقد الحكام وأيقاف تجاوزاتهم، وما يجب أن تقوم عليه سياستهم . فقال في موعظة

<sup>(1)</sup> لتفاصيل أكثر ينظر الكيلاني، ماجد عرسان، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ص 148 - 151

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، 150/2

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، 150-149/2

<sup>(4)</sup> الغزالي، احياء، 150/2

<sup>(5)</sup> مريزن، سعيد مريزن، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، ص 528

<sup>(6)</sup> الغزالي، مصدر سابق، 357/2

<sup>(7)</sup> المصدر نفسه

ألقاها في المدرسة: " يا علماء يازهاد كم تنافقون الملوك والسلاطين حتى تأخذوا منهم حطام الدنيا وشهواتها ولذاتها ؟  
أنتم وأكثر الملوك في هذا الزمان ظلمة خونة " (1)

واعتبر ان الوقوف بوجه الطغاة والظلمة من الحكام هي مسألة عقديه، وان لب العقيدة الاسلامية ينصب في تنزيه الله وافراده بالعبادة وتعظيمه وعدم الخوف من الطغاة والظلمة والانصياع لهم مهما بلغت قوتهم ،فذكر الناس في احد مجالسه قائلاً : " صارت الملوك لكثير من الخلق الهه.قد صارت الدنيا والغنى والعافية والحول والقوة ألهة .ويحكم جعلتم الفرع أصلاً، المرزوق رازقاً، والمملوك مالكاً، والفقير غنياً، والعاجز قوياً، والميت حياً، إذا عظمت جبابة الدنيا وفراعينها وملوكها وأغنيائها ونسيت الله عز وجل ولم تعظمه، فحكمكم حكم من عبد الاصنام تصير من عظمت صنمك " (2) .

ولا ننسى الدور الكبير للوعاظ ابن الجوزي ومحاولاته لاصلاح الوضع السياسي القائم والذي استفزه بأشكالاته وترديه فتأصلت في نفسه رغبة ملحة في محاولة اصلاح هذا الوضع باستغلال دوره كمرب وكواعظ للوصول الى غايته وخاصة أن مجالسه الوعظية كانت تحفل بالخلفاء والسلاطين والامراء وكبار رجال الدولة من اهل الحل والعقد .

ولم يكتف ابن الجوزي بخطبه الوعظية كاداة للتغيير بل اتجه نحو الكتابة والتأليف لاعتقاده بقوة تأثيرها فألف كتابا سماه (الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء) أوضح فيه واجبات الحاكم الاساسية اتجاه الرعية، وان لا يغفل ان يحرص ان تكون بطانته للشورى و النظر من العلماء المخلصين .والملاحظ ان ابن الجوزي كان يؤكد على شرعية خلافة بني العباس ودعم هذه الشرعية بالادلة لمواجهة المتغيرات السياسية وظهور دول مستقلة عن سلطة الخلافة (3)

## المبحث الرابع : النشاط السياسي للوعاظ

يتمثل النشاط السياسي للوعاظ بمحورين،المحور الاول هو نشاط جماعي وفعل سياسي واجتماعي يتناسب مع اهمية ومتطلبات الحدث السياسي وقد تجلّى هذا بصورة واضحة في الازمات السياسية حيث كان للوعاظ الحظ الاوفر باخذ زمام المبادرة والمساهمة مع الاهالي بدفع الخطر حين تعرضت الخلافة وبغداد الى تهديد حقيقي ففي سنة (514هـ) قام الوعاظ مع الاهالي بالدفاع عن بغداد حين شن ديبس بن سيف الدولة صدقة بن منصور صاحب الحلة هجوما على بغداد بعد ان خلع عنه طاعة الخليفة المسترشد بالله وتمرد على الخلافة، فاغار على بغداد واصاب اهلهما الهلع مما دفع الخليفة ان يعلن النفير وان يقود الجيش بنفسه، وكان دور الوعاظ كبيراً في تاليب الناس واستنفارهم وتهيج الراي العام على ديبس والالتفاف حول الخليفة المسترشد لافشال تمرد ديبس.

(1) الكيلاني ، عبدالقادر ، الفتح الرباني والفيض الرحماني، ص224

(2) الكيلاني، جمال الدين، كتاب الشيخ عبدالقادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة، ص213

(3) السري، مرجع سابق، ص185

فراقفوا الخليفة وزينوا له الجهاد وبينوا فضله، وقرأوا عليه القرآن والتسبيح والذكر والدعاء الماثور، وذكر الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد لما خرج المسترشد بالله متوجها لحرب ديبس بن صدقة رافقه العالم والواعظ ابو الفرج محمد بن عمر بن مكي وقرا عليه احاديث وهو يسير في مركبه من المدائن الى الحلة وسمعتها جماعة من الخدم والحواشي (1).

كما شغل الوعاظ مساحة كبيرة في اذكاء روح الجهاد في الحروب الصليبية، هذه الحرب التي امتدت الى قرنين من الزمان ( من سنة 490هـ الى 690هـ ) بسبب خلافات وتناحر القوى السياسية فيما بينها، وفيها سيطر الصليبيون على مدن الشام مدينة تلوه اخرى حتى دخل الصليبيون القدس سنة (492هـ/1099م) وسيطروا على المسجد الأقصى فعاثوا به فسادا ونهبوا محتوياته، ثم عملوا سيوفهم بالمسلمين سبعة ايام ليقتلوا اكثر من سبعين الف نفس منهم جماعة كثيرة من ائمة المسلمين وساداتهم وزهادهم ثم حصروا جميع من في القدس من المسلمين بداخل المسجد الشريف واشترطوا عليهم انهم متى تأخروا عن الخروج بعد ثلاثة ايام قتلوهم عن اخرهم (2).

فنفر حشد من العلماء من اهل الشام وتوجهوا الى الخليفة المستظهر بالله (3) يثيرون فيه النخوة لنجدة المسلمين وانقاذ المسجد الأقصى من براثن الصليبيين، فندب الخليفة المستظهر بالله ارسال نخبة من علماء ووعاظ بغداد منهم ابو محمد الدامغاني (4)، وابو بكر الشاشي (5)، وابو القاسم الزنجاني (6) وابو الوفاء بن عقيل (7)، وابو سعد الحلواني (8) الى السلاطين السلاطين والامراء المسلمين ليثيروا فيهم مشاعر النصرة ومساندة اخوتهم من اهل الشام للجهاد معهم ضد

(1) الخطيب، تاريخ بغداد، 46/15

(2) العليمي، عبدالرحمن بن محمد، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 307/1

(3) وقع العالم ابن خلدون في الوهم فذكر اسم الخليفة المقتدي بدل الخليفة المستظهر في تاريخه. 25/5. وهذا يناقض الحقائق التاريخية فمن المعلوم ان الصليبيون دخلوا بيت المقدس في سنة 492هـ بينما الخليفة المقتدي توفي سنة 487هـ .

(4) هو ابو الحسن علي بن محمد بن علي الدامغاني، ثاني افراد اسرة ال دامغاني، تولى منصب قاضي القضاة وهو اصغر قاضي سنا لما عرف عنه بجزمه وسداد رايه، تقلد القضاء لثلاثة خلفاء المقتدي المستظهر المسترشد. ولقب بتاج القضاة، توفي سنة 513هـ. ينظر: القرشي، الجواهر المضية، 188/1؛ الحضرمي، قلادة النحر، 31/4

(5) هو ابو بكر محمد بن احمد بن الحسين الشاشي، الامام الشافعي ولد سنة 427هـ، وصحب الامام الزاهد ابا اسحاق الشيرازي، ولقب بفخر الاسلام لحسن فتواه وبعد نظره، توفي سنة 507هـ ببغداد. ينظر: ابن صلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، 1، 85؛ ابن نقطة، اكمال الاكمال، 488/3

(6) هو ابو القاسم يوسف بن علي بن محمد بن الحسين الزنجاني، ولد سنة 439هـ وتفقه على ابي اسحاق الشيرازي، واصبح اماما في الفقه، توفي سنة 500هـ. ينظر: ابن الملقن، العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، ص 80

(7) هو ابو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي، ولد عام 430هـ، دينا حافظا للحدود وله الفطنة البغدادية، له مؤلف اسمه (الفنون) يزيد عن اربعمائة مجلد، توفي ببغداد سنة 513هـ. ينظر: ابن الجوزي، مناقب الامام احمد، ص 700؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، 443/19

(8) هو ابو سعد يحيى بن علي الحلواني، درس في مدرسة النظامية ببغداد بعد عزل ابي منصور ابن الرزاز. ينظر: الذهبي، سير اعلام اعلام النبلاء، 16/14

الصلبيين<sup>(1)</sup>. ولكن حالة الانقسام والتنافر السياسي القت بظلالها على جهود هذه النخبة من العلماء فلم يكتب لهم النجاح في مهمتهم. والاصح ان هؤلاء الحكام والامراء اصبوا بتبيلد الاحساس ولم يستشعروا عظم المصيبة. وتقدم لنا المصادر صورة قبيحة من تقاعس هؤلاء الحكام اتجاه الغزو الصليبي والتتاري لارض المسلمين، فحين جاء وزير الخليفة الناصر لدين الله الى الخليفة ليخبره ان التتار قد ملكت البلاد وقتلت المسلمين، قال له الناصر لدين الله: "دعني أنا في شيء أهم من ذلك، طيرتي البلقاء لي ثلاثة أيام ما رأيتها"<sup>(2)</sup>.

وظلت مشاعر علماء ووعاظ بغداد مرتبطة بمشاعر اخوتهم المجاهدين في الشام وخاصة بعد ان تمدد الاحتلال الصليبي واحتل معظم مدن الشام مما دفع مجموعة منهم من التضامن والاستجابة لجماعة من اهل حلب جاؤوا الى بغداد مستنفرين على الصليبيين، ولدفع الخليفة والسلطان السلجوقي للتحرك لنجدة اهل حلب قاموا بالتجمع في جامع السلطان، فنتج عن ذلك صدور امر السلطان محمد بن ملكشاه للامراء بالاستعداد والتجهز للجهاد، حيث سير حملة سنة 505هـ/1111م تمكنت من فتح عدد من الحصون وقتل عدد من الصليبيين<sup>(3)</sup>.

اما المحور الثاني فقد تجسد في نشاط بعض الوعاظ السياسي على المستوى الفردي أما بدافع الغيرة على الدين والاسلام والمتمثل ببيضة الخلافة وبالتالي كان الوقوف اتجاه التيارات الفكرية والعقدية المخالفة امرا واجبا في نظرهم فنافحوا عن الخلافة بكل ما اوتوا من علم وفهم وتدير لتفنيد افكار تلك الجماعات وتفتيت جمعها وتحجيم دورها.

وما لا يخفى ان في تلك الفترة ظهرت حركة الباطنية متزامنة مع النشاط الصليبي فنمت وازدهرت وتشعبت انشطتها السياسية منها والفكرية، وأثارة الفتن والقتال، وقتلت عدد من الحكام والوزراء والعلماء، واصابت سمومها في احايين كثيرة راس الهرم من السلطة وضربت اطنابها اصقاع العالم الاسلامي مما حدا بالعالم والواعظ الامام الغزالي ان ينبري لها ويدفع الحجة بالحجة. ولنترك الغزالي يصف لنا منهجيته في ذلك حيث قال: "فابتدأت بطلب كتبهم، وجمع مقالاتهم. وكذلك قد بلغني بعض كلماتهم المستحدثة التي ولدتها خواطر أهل العصر، لا على المنهاج المعهود من سلفهم، فجمعت تلك الكلمات، ورتبتها ترتيبا محكما مقارنا للتحقيق، واستوفيت الجواب عنها"<sup>(4)</sup>. فألف الغزالي للرد على الباطنية كتابا أسماه (المستظهر) وكان ذلك باقتراح الخليفة المستظهر بالله حين كان الغزالي يدرس في النظامية. كما ألف كذلك كتابا أسماه (فضائح الباطنية).

(1) ابن الاثير، مصدر سابق، 425/8

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 262/6

(3) الذهبي، تاريخ الاسلام، 13/11

(4) المنقذ من الظلال، ص 91

وذكر ابن الجوزي أن السلطان ملكشاه قد تأثر بأفكار الباطنية نتيجة اختلاطه ببعض منظريهم فأقدم العالم والواعظ ابن عقيل بإرسال رسالة الى السلطان ملكشاه يعظه فيها ويحذره ويبين فساد افكارهم فلما قرئها السلطان تأثر بها وتنصل عنهم<sup>(1)</sup>.

وكان من الوعاظ من يدرك عظم خطب الفتن على العباد والبلاد فينأى بنفسه عنها لؤدها مثلما فعل الواعظ ابو الوفاء علي بن عقيل<sup>(2)</sup> عندما احتدمت الفتن في سنة 475هـ بين الحنابلة والاشاعرة، ترك الوعظ واقتصر على التدريس حتى لا يكون طرفا في إثارة الفتنة<sup>(3)</sup>

ومن المهام السياسية التي كلف بها الوعاظ هي منصب المستشار في تولية السلطان او الخليفة او من عدمه، وذلك لاسباغ الهيبة الشرعية على تنصيبهم، فقد ذكر ابن الاثير في تاريخه<sup>(4)</sup> ان السلطان ملكشاه عندما مات كتبت زوجته تركان خاتون موته، وأرسلت الى الامراء سرا فارضتهم واستحلفتهم لتولية ابنها محمود وعمره اربع سنين واشهر فاجابوها وارسلت الى الخليفة المقتدي في الخطبة لولدها ايضاً فأجابها وشرط ان يكون اسم السلطنة لولدها والخطبة له، ولما طلب راي الغزالي أنفرد بعدم جواز توليته لصغر سنه في الوقت الذي أجمع العلماء على ذلك. والامر جرى كما افق الغزالي وتولى بركيارق السلطنة.

كما كلف بعض الوعاظ باخذ البيعة للخليفة او حضور بيعته للتأكيد على ان هذه الخلافة دينية فعندما قتل الخليفة المسترشد بالله ببيع ولده الراشد بالله وحضر بيعته أحد وعشرون رجلاً من أولاد الخلفاء وبايع له الشيخ ابو النجيب السهروردي<sup>(5)</sup>، ووعظه، وبالغ في الموعدة<sup>(6)</sup>

ومن الوعاظ من عزز بسلوكه هيبة الخلافة ومكانتها فحين تقدم السلطان مسعود الى الشيخ ابو النجيب السهروردي للتدريس في المدرسة النظامية رفض دون ابراز موافقة الخليفة المقتفي لامر الله لانه تعيين مدرسي المدرسة والقضاة هو من اختصاصت الخليفة وحده، ومن واجباته الدينية وتكليف السلطان مسعود للسهروردي ما هي إلا محاولة من سلاطين السلاجقة لإنتزاع السلطة الدينية من الخليفة، وان موقف السهروردي هذا أرغم السلطان على

---

(1) المنتظم، 312/16-313

(2) سبق ان ترجم له في الصفحة السابقة

(3) م. ن . 17/181

(4) الكامل، 8/363

(5) الواعظ ابو النجيب عبدالقاهر بن عبدالله السهروردي، الزاهد، المفتي، قدم بغداد ودرس في النظامية ودرس فيها واصبح له القبول عند الملوك، بني خربة والى جانبه مدرسة، توفي سنة (563هـ) ودفن في مدرسته. ينظر ابن المستوفي، تاريخ اربل، 1/107؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، 12/300

(6) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 5/71

استحصال موافقة الخليفة في ذلك<sup>(1)</sup>. ومن المفيد أن أذكر أن الشيخ أبو النجيب السهروردي كان قد وفر الملاذ الآمن (اللجوء السياسي) في رباطه لكل من فر خائفاً من السلطان أو الخليفة، قال الذهبي: "فصار حماً لمن لجأ إليه من الخائفين يجير من الخليفة والسلطان"<sup>(2)</sup>

وقد دفع تمتع الوعاظ بالعلم والدين والسجاية الحميدة السلاطين والخلفاء بأسناد مهام السفارات إليهم حاملين أما رسائل تنطوي على طلب الطاعة أو طلب النجدة أو تحذير أو المصالحة، وأحياناً تسكت المصادر عن ذكر طبيعة تلك السفارات مثل سفارة الواعظ عبدالرحمن بن اسماعيل النيسابوري حيث قال عنه الصفدي<sup>(3)</sup>: "كان يشار إليه في حسن الرأي والتدبير، ترسل إلى الشام وكانت الملوك تستغني براه" وتختلف طبيعة هذه السفارات حسب نوع المهمة التي يكلفون بها، حتى قيل أن الخليفة المقتدي تزوج بآبنة السلطان ملكشاه بسفارة شيخ الشافعية أبي إسحاق<sup>(4)</sup> وفي سنة (475هـ) أرسل الخليفة المقتدي الشيخ أبي إسحاق الشيرازي<sup>(5)</sup> برسالة إلى السلطان ملكشاه والوزير نظام الملك تتضمن الشكوى من عميد العراق أبي الفتح بن أبي الليث فاستقبله السلطان وأكرمه وأجيب إلى جميع ما التمس، ولما عاد أهين العميد ورفعت يده عن جميع ما يتعلق بحواشي الخليفة<sup>(6)</sup>.

أما الواعظ الغزنوي فقد أرسله الخليفة المقتفي لأمر الله إلى أمراء السلاجقة الذين زحفوا إلى بغداد للسيطرة عليها سنة (543هـ/1148م) فنهبوا المناطق المحيطة ببغداد فونجهم الغزنوي وقبح عملهم قائلاً لهم: "لو جاء الأفرنج لم يفعلوا هذا"<sup>(7)</sup>. كما أرسل الخليفة المقتفي بالله الواعظ المنصور بن أردشير العبادي ليسعى في الصلح بين السلطان ملكشاه بن محمود وبدر الحويزي، فمضى وأصلح بينهما<sup>(8)</sup>.

---

(1) مصطفى، ثامر نعمان، الرأي العام في العراق في عصر السيطرة السلجوقية، ص148

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 477/20

(3) الوافي بالوفيات، 73/18

(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 125/14

(5) هو إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق، الفقيه الواعظ الشافعي الأصولي، ولد سنة 393هـ وانتشر علمه في الأفاق وأكثر علماء الأمصار من تلامذته، توفي ببغداد سنة 476هـ. ينظر: ابن الساعي، الدر الثمين، ص248؛ النووي، تهذيب الأسماء، 172/2

(6) أبو إسحق الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص10؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 246/23

(7) ابن الجوزي، المنتظم، 65/18

(8) سبط ابن الجوزي، مصدر سابق، 428/20

وكذلك أرسل الخليفة الناصر لدين الله الواعظ عمر السهروردي<sup>(1)</sup> الى السلطان علاء الدين كيقباد ليرده عن دخول بغداد ليكون له بها دار السلطنة، فوعظه وذكره فيها بفضل بني العباس، وعواقب فعله فأرتدع ولم يدخل بغداد<sup>(2)</sup> .

## الخاتمة

تبين من خلال هذا البحث ان الوعاظ في العراق في عصر السيطرة السلجوقية لعبوا دورا كبيرا في النشاطات السياسية، في وقت كانت تعاني الخلافة العباسية من التفكك والضعف.

كما كشف البحث ان الوعاظ لم يقتصر نشاطهم على الوعظ الديني فقط فقد كانت لهم صولات وجولات مع الحكام وقد افزعوا الحكام بمقاريع وعظهم وانتزعوا منهم الاحترام والتوقير .

ومن الامور المهمة التي توصل لها البحث هو ان للوعاظ دور كبير في التاصيل للفكر السياسي الاسلامي، ولم يفتروا في الحرص على اصلاح الوضع السياسي القائم. كما اسهموا وبشكل فاعل في النشاطات السياسية المختلفة مثل حث الناس والخلفاء في الوقوف بوجه الازمات وبعث روح الجهاد في نفوسهم كما كلفوا من قبل الحكام كسفراء لهم ولمهام مختلفة، كما حرص الحكام على حضورهم في البيعة والتنصيب، وكثير منهم كانوا كمستشاريين للخلفاء والسلاطين .

## المصادر والمراجع:

### القران الكريم

-ابن الاثير، عزالدين ابو الحسن (ت630هـ/1233م):

1-الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبدالسلام، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، 1997م

-ابو اسحاق، ابراهيم الشيرازي (ت476هـ/1083م):

2-طبقات الفقهاء، تحقيق: احسان عباس، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، 1970م

---

(<sup>1</sup>) هو شهاب الدين ابو حفص عمر السهروردي، ولد سنة 539هـ وهو من اعلام التصوف، ومؤسس الطريقة السهروردية الصوفية، وانتهت اليه الرئاسة في تربية المريدين، اخذ عن عمه ابو النجيب الفقه والوعظ والتصوف، توفي في بغداد سنة 632هـ، ودفن في المقبرة الوردية. ينظر: ابن الساعي، الدر الثمين في اسماء المصنفين، ص17؛ المقرئ، المقفى الكبير، 379/4؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، 374/22

(<sup>2</sup>) الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، 189/7

- الاصفهانى، عماد الدين ابو حامد (ت597هـ/1201):
- 3-البستان الجامع لجميع تواريخ اهل الزمان، تحقيق: عمرعبدالسلام، ط1، بيروت، المكتبة العصرية، 2002م
- 4-خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق: مُجَّد بهجت، ط1، بغداد، مديرية الثقافة، د.ت
- البنداري، الفتح بن علي (ت643هـ/1226م):
- 5- دولة ال سلجوق، ط1، مصر، شركة طبع الكتب العربية، 1900م
- الببروني، ابي الريحان مُجَّد بن احمد (ت440هـ/1047م):
- 6- الاثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق: غسان داود، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت
- البیهقي، احمد بن الحسين بن علي (ت458هـ/1066م)
- 7- شعب الايمان، تحقيق: د.عبدالعلي عبد الحميد، ط1، الهند، مكتبة الرشد، 2003م
- التادفي، عمر بن يحيى الحنبلي
- 8- قلائد الجواهر، د.ط، مصر
- ابن تغري بردي (ت874هـ/1469م):
- 9- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، د.ط، مصر، دار الكتب، د.ت
- الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد (ت463هـ/1071م):
- 10- تاريخ بغداد، تحقيق: د.بشار عواد، ط1، بيروت، دار الغرب الاسلامي، 2002م
- ابن الجوزي، جمال الدين ابو الفرج (ت597هـ/1201م):
- 11- تلبیس ابلیس، ط1، بيروت، دار الفكر، 2001
- 12- المنتظم في تاريخ الامم والملوك، تحقيق: مُجَّد عبدالقادر، ط1، دار الكتب العلمية، 1992م
- الحسيني، صدر الدين علي بن ابي الفوارس (ت622هـ/1225م)
- 13- اخبار الدولة السلجوقيه، تصحيح، مُجَّد اقبال، ط1، لاهور، 1993م

- الحضرمي، ابو مُجَد الطيب بن عبدالله (ت 947هـ/1540م):
- 14- قلادة النحر في وفيات اعيان الدهر، ط1، جدة، دار المنهاج، 2008م
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن مُجَد (ت 808هـ/1405م):
- 15- تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، ط1، بيروت، دار الفكر، 1988م
- ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد (ت 681هـ/1282م):
- 16- وفيات الاعيان وابناء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، بيروت، دار صادر، 1994م
- ابن خمارويه، شمس الدين مُجَد بن علي (ت 953هـ/1546م):
- 17- انباء الامراء بانباء الوزراء، تحقيق: مهنا احمد، ط1، بيروت، دار البشائر، 1998م
- الراوندي، مُجَد بن علي (ت 604هـ/1208م):
- 18- راحة الصدور واية السرور، د.ط، القاهرة، المجلس الاعلى للثقافة، 2005م
- الداوودي، مُجَد بن علي (ت 945هـ/1583م):
- 19- طبقات المفسرين، د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت
- الدوادري، ابو بكر عبدالله بن ابيك (توفي بعد 736هـ/1336م):
- 20- كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: صلاح الدين منجد
- الذهبي، شمس الدين ابو عبدالله مُجَد (ت 748هـ/1347م):
- 21- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: بشارعواد، ط1، تونس، دار الغرب، 200م
- 22- سير اعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، 1985م
- 23- العبر في خبر من غير، تحقيق: مُجَد السعيد، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية
- ابن رجب، زين الدين عبدالرحمن (ت 795هـ/1393م):
- 24- ذيل طبقات النابله، تحقيق: د.عبدالرحمن بن سليمان، ط1، الرياض، مكتبة العبيكان، 2005م

- الرفاعي، احمد بن علي بن احمد (ت578هـ/1182م):
- 25- الوصايا، تحقيق: د.مُحَمَّد زينهم، د.ط، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1993م
- ابن الساعي، علي بن انجب بن عثمان (ت674هـ/1275م):
- 26- الدر الثمين في اسماء المصنفين، تحقيق: احمد شوقي بنين، ط1، تونس، دار الغرب، 2009م
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي (ت771هـ/1369م):
- 27- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود مُحَمَّد، ط2، هجر، 1992م
- سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابو المظفر (ت654هـ/1256م):
- 28- مرة الزمان في تواريخ الاعيان، ط1، دمشق، دارالرسالة، 2013م
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت746هـ/1345م):
- 29- الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارناؤوط، ط1، بيروت، دار احياء التراث، 2006م
- صلاح الدين، مُحَمَّد بن شاكر (ت764هـ/1363م):
- 30- فوات الوفيات، تحقيق: احسان عباس، ط1، بيروت، دار صادر، 1974م
- ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن (ت643هـ/1245م):
- 31- طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، ط1، بيروت، دار البشائر، 1992م
- العليمي، عبد الرحمن بن مُحَمَّد (ت928هـ/1522م):
- 32- الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس، عمان، مكتبة دنديس، د.ت
- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن احمد (ت1089هـ/1678م):
- 33- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: محمود الارناؤوط، ط1، بيروت، دار ابن كثير
- ابن العمراني، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد (ت580هـ/1184م):
- 34- الانباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، ط1، القاهرة، دار الافاق العربية، 2001م

-العمرى، احمد بن يحيى (ت749هـ/1348م):

35- مسالك الابصار في ممالك الامصار، ط1، ابو ظبي، المجمع الثقافى، 2002م

-الغزالى، ابو حامد مُجَد بن مُجَد (ت505هـ/1111م):

36- احياء علوم الدين، ط2، بيروت، دار المعرفة، د.ت

37- التبر المسبوك في نصيحة الملوك، تحقيق: احمد شمس الدين، ط1، بيروت، دار الكتب، 1988

38- المنقذ من الضلال، تحقيق: عبدالحليم محمود، د.ط، مصر، دار الكتب الحديثة

-ابن الطقطقى، مُجَد بن علي طباطبا (ت709هـ/1309م):

39- الفخرى فى الاداب السلطانية والدول الاسلامىة، ت: عبدالقادر مُجَد، ط1، بيروت، دار القلم، 1997م

-ابن الفوطى، كمال الدين ابو الفضل عبدالرزاق (ت723هـ/1323م):

40- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة، تحقيق: مهدي النجم، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية

-القرشى، عبدالقادر بن مُجَد بن نصر الله (ت775هـ/1373م):

41- الجواهر المضىة فى طبقات الحنفىة، كراتشى، مير مُجَد كتب خانة

-ابن ماكولا، سعد الملك ابو نصر علي بن هبة الله (ت475هـ/1082م):

42- الاكمال فى رفع الارتياب عن المؤلف والمختلف فى الاسماء والكنى، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1990م

-المزى، جمال الدين ابوالحجاج يوسف (ت742هـ/1341م):

43- تحفة الاشراف بمعرفة الاطراف، تحقيق: عبدالصمد شرف الدين، ط2، المكتب الاسلامى، 1983 م

-ابن المستوفى، المبارك بن احمد (ت637هـ/1239م):

44- تاريخ اربل، تحقيق: سامى بن سيد خماس، العراق، دار الرشيد، 1980م

-المقرىزى، تقى الدين (ت845هـ/1440م):

45- المقفى الكبير، تحقيق: مُجَد اليعلاوى، ط2، بيروت، دار الغرب، 2006م

-ابن مفلح، ابراهيم بن مُحمَّد بن عبد الله (ت884هـ/1497م):

46- المقصد الارشد في ذكر اصحاب الامام الاحمد، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان، ط1، الرياض، مكتبة الرشيد، 1990م

-ابن الملحق، سراج الدين ابو حفص عمر (ت804هـ/1401م):

47- العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، تحقيق: ايمن نصر، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997م

-اليافعي، ابو مُحمَّد عفيف الدين عبد الله (ت768هـ/1366م):

48- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997م

-النويري، احمد بن عبد الوهاب بن مُحمَّد (ت733هـ/1333م):

49- نهاية الارب في فنون الادب، ط1، القاهرة، دار الكتب والوثائق، 2002م

## المراجع

-امين، حسين

50- تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ط1، بغداد، مطبعة الارشاد، 1965م

-بسطامي، مُحمَّد سعيد خير

51- مفهوم تحديد الدين، ط1، جدة، مركز التأصيل للدراسات، 2012م

-الخطيب، مصطفى عبد الكريم

52- معجم المصطلحات والالقاء التاريخية، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1996م

-الصلاحي، علي مُحمَّد

53- دولة السلاجقة وبرز مشروع اسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، ط1، بيروت، دار المعرفة، 2006م

-الكيلاني، جمال الدين

54- كتاب الشيخ عبدالقادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة، ط2، الولايات المتحدة الامريكية، دار الفكر، 2041م

-الكيلاني، ماجد عرسان

54- هكذا ظهر جيل صلاح الدين، ط2، الامارات العربية المتحدة، دار القلم، 2002م

-مصطاف، ثامر نعمان

55- الراي العام في العراق في العصر السلجوقي، ط1، دمشق، دار تموز، 2012م

## البحوث والمقالات

-جمعه، عكاب يوسف

56- المشروع السلجوقي لتوحيد الامة الاسلامية في عهد السلطان طغرلبيك، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية،

العدد:3، 2012م

-السري، احمد علي

57- ابن الجوزي والوعظ السياسي، دورية كان التاريخية، عدد: 25، 2014م

-شايمو ياما

58- الدين والسياسة في الحقبة السلجوقية، مجلة دراسات استشرافية، عدد:11، 2017م